

الحج

مقاصد وقيم

إعداد

بدر بن سالم بن حمدان العبري

باحث منتدب بالوزارة

شوال 1432هـ / سبتمبر 2011م

مقدمة

قال تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}.

في هذه الأيام المباركة، نعيش أشهر الحج الجليلة، وأيامه النبيلة، لنعيش مع ذكريات التأريخ، ونستحضر معالم الشريعة الغراء، هناك حيث الطواف بالبيت، والدعاء بين الصفا والمروة، والخضوع يوم عرفة، فحلق معي - أخي الحاج - مع مقاصد الحج، وتأمل ما أقوله مليا، لترجع إلى ديارك أرض الوطن المعطاء، وقد استحضرت الحكم الجليلة، والتي أرادها الله تعالى من عباده المؤمنين من خلال مناسك الحج المباركة.

قبل الذهاب إلى الحج

هنيئاً لك أخي الحبيب أن يوفقك رب البيت لحج بيته، وتكون في ضيافته ورعايته، فأنت - أخي الحاج - في دورة تدريبية، جامعة بين الدار الفانية والدار الباقية، فاستحضر قبل ذهابك ما يلي:

❖ خرجت - أخي الحبيب - مجيباً لنداء نبيك إبراهيم عليه السلام، وقد أذن في الناس بالحج: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، خرجت ممثلاً عن هذه الأمة في دورة تدريبية إيمانية، فأحسن في هذه الوفادة، وكن خير ممثل لهذه الأمة، لترجع قدوة لأفرادها تقودهم إلى خيري الدنيا والآخرة، يقول ربك في آيات الحج في سورة البقرة: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

❖ تأمل معي أخي الحاج بماذا افتتح الله تعالى آيات الحج في سورة البقرة: {وَأَتْمُوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}، أي أتموا حجكم وعمركم لله وحده، فأنت - أخي الحبيب - مسافر إلى الله تعالى، راغب غي ثوابه، خائف من عقابه، فلا تقصد بحجك رياء ولا سمعة، ولا ترجو منه ألقاباً دنيوية، فأخلص نيتك لله سبحانه، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

❖ قبل الرحيل ستودّع أباك وأهلك وأقربائك، وتفارق زوجك وأولادك، وقد ترجع إليهم، فتذكر يوماً ما ستفارقهم ولن ترجع إليهم، بل سيضعونك في حفرة أرضية ضيقة، فأنت - أخي

الحبيب - في رحلة إلى الدار الآخرة، فاستحضر تلك الدار من خلال مشاعر الحج النبيلة، لتكون مستعدا للرحيل الأبدي.

❖ أخي الحاج، أراك أعددت الزاد من نقود وملابس وقافلة تسير معها، ولكن تذكر أنّ هذا الزاد يفنى، ولا يصل إلى الله تعالى، وإنما يصل تقواك إليه، فكما تتزود بالزاد الدنيوي فلا تنسى زاد التقوى، بداية من الاستغفار له سبحانه، وتحديد التوبة الخالصة للخالق العظيم، ثم نق قلبك من أدران الحسد والغل والعجب، وسامح من أغضبت، وصل من قطعت، وأحس إلى من أسأت، واعف عمن ظلمك، ورد حقوق غيرك، وتأمل معي في قوله تعالى
{ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }.

❖ الحج - أخي الحبيب - كما هو رحلة أخروية إيمانية، هو رحلة تأريخية أيضا، هناك تتذكر أبا الأنبياء، إبراهيم الخليل، حاملا معه فلذة كبده إسماعيل، وزوجه هاجر، هناك يرفع القواعد من البيت، وهناك عاش محمد عليه الصلاة والسلام، وهناك ترعرع، وهناك بدأ وحي القرآن، نور الله للعالمين، فاستحضر تأريخك، وأنت تعيش المناسك العظام، لتسير على طريقهم، وتقتفي آثارهم، {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}.

❖ تذكر أخي الحبيب، أنك تعيش في أشهر زمنية مباركة، في أشهر الحج، ومنها شهران من أشهر الحرم، شهري ذي القعدة وذي الحجة، وهما شهران عظيمان عند الله تعالى، فعظم رحمك الله ما عظمه خالقك، طاعة واستسلاما، ومراقبة وخضوعا، {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

والآن نطلق سوا أخى الحاج إلى مقاصد الرحلة الإيمانية، وأنت تضع رجلك فى الحافلة

متوجها إلى البيت العتيق، فكن معى ىرعاك الله.

عند الانطلاق في الرحلة

ها قد ودعت أهلك، وفارقت أقاربك وأحبابك، والعديد منهم الآن قريبون منك، فتذكر أخي الحبيب التالي:

❖ تذكر يوماً ستودع أهلك وأحبابك الوداع الأخير، منطلقاً إلى الدار الآخرة، انظر ماذا قال الله تعالى عنها: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }، فكن مع الله في رحلتك، وتواضع للعباد، واجتنب الفساد في الأرض، واستحضر في ذهنك ملياً الدار الآخرة، فأنت في طريقك إليها.

❖ على ماذا تسافر؟ على طائرة سريعة، أو حافلة مريحة، ساعات وأيام قليلة، وتصل الديار المقدسة، آمننا مطمئناً، وانظر - أخي الحاج - إلى أجدادك: كم كانوا يقطعون المسافة؟! على أرجل يمشون بها، أو حمير وأبل يتراوحون عليها، تحت ظل الشمس الحارقة، والبرد القارص، وصعوبة الحصول على المأكل والمشرب، وانظر اليوم إلى نعمة الله تعالى عليك، فهلا قابلت النعمة بالشكر والطاعة للرحمن، { وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }.

والآن أخي الحاج كن معي لتأمل سوياً المقاصد الجميلة وأنت في طريقك للرحلة المباركة.

في الطريق إلى الحج

وأنت في طريقك إلى الديار المقدسة أخي الحبيب استحضر المعاني التالية، مع تقيّدك بالأدبيات القرآنية:

❖ لاحظ عزيزي الكريم، كم من المشقة تنتظر من وضع رجلك في الراحلة، وحتى تصل، وعند الحدود وتخليص الجوازات، وعند الأكل والشرب وأخذ الراحة قليلاً، ومع هذا عندما تصل هل شعرت بهذا الوقت، أم سينقضي بسرعة، لا شك سينقضي بسرعة شديدة وكأنها لحظة عين، فكذلك الحياة الدنيا على كدحك فيها، تنقضي بسرعة شديدة جداً، والآن تأمل معي في قوله تعالى: { قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ، قَالَ إِنَّ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

❖ الكون حديقة غناء للتأمل والتدبر، وأنت في فضاء السماء إن كنت مسافراً جواً، أو على فسيح البر بتعدد مخلوقات الله فيه، إن كنت مسافراً براً، هلا جعلت لعقلك نصيباً من التأمل والتدبر، فهذا ذكر الله تعالى، لا يقل عن ذكرك له بالصلاة والدعاء والأذكار، قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }.

❖ أتعلم أخي الحبيب أول كلمة افتتح بها القرآن الكريم، وأول كلمة أمر بها النبي العظيم، إنها كلمة اقرأ، { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }، وأنت ذاهب - أخي الحاج - إلى أرض

أقرأ، هلا حملت معك كتابا تتعلم منه، وتتدبر فيه، وتذكر الله به، فالعلم ذكر الله تعالى، فلا تضيع فراغك في الحافلة أو الطائرة بدون قراءة، فالكتاب خير جليس وصاحب لك.

❖ أتعلم - عزيزي الحاج - متى يبدأ الحج، يبدأ الحج منذ دخول شوال، فأنت في الحافلة وفي أشهر الحج تكون بذلك قد دخلت في الحج، والله تعالى يقول: { الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }.

فاحذر وأنت في الحافلة من التالي:

✓ **الرفث المحرم**، والنظر إلى ما حرم الله، فصن سمعك وبصرك وفرجك عن كل حرام، ولك في الكون فسحة في الجمال الرباني المبتوث في الأفق، لتتدبر فيه.

✓ **الفسوق** بأنواعه، القلبي من حقد وكره وبغض وحسد، والظاهري من غيبة ونميمة وفعل محرم، فصن جوارحك عن أي فسوق وخروج عن طاعة الله تعالى إلى طاعة الشيطان والهوى.

✓ **الجدال المؤدي إلى الشقاق والتنازع والبغضاء**، فاجتنبه ولا تقترب منه.

وبهذا عزيزي الحاج تترى على طاعة الله سبحانه وتعالى، وأنت في رحلة الحياة، ليكون منهجك عندما ترجع إلى أهلك حتى تلقى الله تعالى.

❖ ما أجمل التعاونَ عزيزي الحاج، وما أجمل النظافة والنظام، صفات جميلة، حاول أن تعتاد عليها في رحلتك، تعاون مع أخوانك في الحافلة، وتقيد بنظام الرحلة، وحافظ على النظافة المادية والمعنوية، ليكون منهجا لك دائما في حياتك، في أسرتك ومجتمعك، يقول ربك

جلّ وعلا: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

❖ لا شك - أخي الحبيب - تعودت على الحياة اللطيفة مع زوجك في بيتك، يلاعبك أولادك، وتسكن إلى زوجك، وتجد طعاما شهيا، وبيننا مرتبا، والآن تغيرت الأحوال، طعام سريع لا يناسب ذوقك، ونوم متذبذب في الراحلة، تنام وأنت جالس في كرسي ضيق، وجدول الحياة تغير، فهذا بحاجة إلى صبر، فالبصبر تحقق الكثير، والحياة بحاجة إلى صبر، فهنيئا لك صفة الصبر لتكون من صفاتك النبيلة، تلازمك في هذه الحياة القصيرة، وتذكر أنّ نيل الجنة بحاجة إلى صبر في طاعة الله تعالى: {وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}.

❖ أخي الحبيب: أخوانك في الرفقة بشر مثلك، يصيبون ويخطئون، فابتعد عن سوء الظنّ بإخوانك، وكن خير ناصح لهم، وأعنهم على طاعة الله تعالى، وتذكر أنك كبير بإخوانك، فهذه تربية لك لتعيش مع مجتمعك صافي القلب، معيناً في الخير، دافعا للضرر، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.¹

¹ في الطريق تأمل عزيزي الحاج مع إخوانك هذه الآيات المباركة:

◆ الحجرات، الآيات 10 - 12.

◆ التوبة، 71 - 72.

والآن عزيزي الحاج أراك وصلت بحمد الله تعالى وحده إلى الميقات، فحلّق معي بفكرك وعقلك

مع مقاصد الإحرام.

مقاصد الإحرام

وأنت قد وصلت - أخي الحاج - إلى الميقات المكاني، والذي وقته حبيبك - صلى الله عليه وسلم -، وتعارف الناس عليه منذ عهد إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام -، قفْ معي مع هذه المقاصد العظام:

❖ ماذا أعددت للباس؟ لا شك إنك أعددت إزارا ورداء، والنساء يلبسن لباسا غير ذي زينة، تذكر يوما ما ستلبس نحو هذا اللباس، فأنت هنا عزيزي الحاج ستبدأ المشهد التمثيلي لرحلة الآخرة، فتذكر:

- اغتسالك قبل الإحرام يذكرك بتغسيلك بعد مفارقة الروح الجسد.
- لباسك الخفيف مذكر بتكفينك قبل الوضع في القبر، فتذكر أنك اليوم تلبس بنفسك، وغدا سوف يلبسك غيرك.
- ترك للمحظورات المباحة قبل الدخول في النسك كالطيب وتقليم الأظافر وقص الشعر ونحوه يذكرك بفترة البرزخ، وقد أصبحت جثة هامدة فيه، لا حراك ولا حياة، وقد كنت تتجمل في دنياك وتطيب، فتذكر هنا يوم توضع تحت التراب، فماذا سيكون حال جسمك حينها؟!

❖ أخي الحبيب، نرجع قليلا ونذكرك بالطريق الذي قطعته من بلادك وحتى الميقات، هل شعرت بقسوته وشدته؟ أم مر بسرعة خاطفة، كذلك الحياة الدنيا، وهنا عندما وصلت إلى الميقات وأحرمت، هل ترجع إلى أهلك؟ أم تواصل نسكك؟! فكذلك إذا بلغت الروح الحلقوم لا يمكن أن ترجع إلى الدنيا، فتأمل حال سيرك في الطريق هل كنت مع الله؟ وهل

وقفت مع حدوده وزواجره؟ فأصلح حالك الآن قبل الرحيل إلى الدار الآخرة، وهنا أتركك أخي الحاج لتأمل في قوله تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }.

❖ ما أول كلمة تقولها عند إحرامك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة، لك والملك، لا شريك لك، لماذا تبدأ إحرامك بهذه الكلمات؟ أوتعرف سرها؟!!

✓ تعال نعيش قليلا مع إبراهيم العظيم: انظر إليه: إبراهيم ابيض شعره، واعوج ظهره، ولم يرزق بولد يفرح به، جاءته الملائكة تزف له البشرى، وقد أصبح كهلا عجوزا، يا إبراهيم، أبشر ببشارة الرب، إنه إسماعيل سميع الله سيولد لك، فيطير إبراهيم فرحا، وتعجب زوجه من الأمر.

✓ والآن تصور نفسك أخي الحبيب، وأنت في مقتبل العمر، ترزق بأكثر من ولد، ثم يصاب أحد الأولاد بمرض خفيف؟ ماذا يكون حالك؟ تذكر لو اتصل بك الآن أن أحد أولادك مريض؟ كيف ستتفاعل مع الحدث، أتسكت عن الأمر، أم ستكثر الاتصال لتطمئن على ولدك!!!

✓ ثم تعال معي أخي الحبيب: انظر في إبراهيم: يأمره ربه أن يحمل زوجه هاجر وفلذة كبده إسماعيل، إلى أرض غير ذي زرع ولا ماء، يتركهما وحيدين.

✓ والآن تصور لو قيل لك: اترك هنا زوجك وأولادك، في أرض مكة وهي عامرة بالسكان والماء، هل ستتركهما وترجع لوحدهك؟

✓ وانظر ماذا قال إبراهيم لربه: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد، والنعمة، لك والملك، لا شريك لك.

✓ فهل فقهت أخي الحبيب ما معنى لبيك: أي استجبنا لك يا الله استجابة بعد استجابة، لا شريك لك سبحانه.

❖ تأمل معي - أخي الحاج - في قوله تعالى: {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ}، وأنت الآن قد فرضت بالحج: فتقول إذا حدثتك نفسك بشهوة ولو حلال: لبيك اللهم لبيك لا آتيها استجابة لله لأني محرم، وإذا حدثتك بجدال مفضي إلى الشقاق: قلت: لبيك اللهم لبيك، إني محرم، وإذا أردت التطيب والتجمل بإزالة شعر أو تقليم أظافر قلت: لبيك اللهم لبيك، إني محرم، فهلا كان هذا الشعار لك دائما إلى يوم تفارق الحياة: فإذا حدثتك نفسك بقطيعة رحم قلت: لبيك اللهم لبيك، إني أخاف الله، وإذا حدثتك بأكل مال الحرام قلت: لبيك اللهم لبيك، إني أخشى الله، وإذا حدثتك بترك الصلاة قلت: لبيك اللهم لبيك، إني أطيع الله، وهكذا يكون ديدنك في الحياة لتكون قدوة لغيرك بشهادة الحج.

❖ ثم تأمل معي أخي الحبيب، أنت هنا في كل شيء تقول: لبيك اللهم لبيك، تستسلم لله مباشرة، لأنك هنا بدأت مشهدا تمثيلا من الدار الآخرة، وهذا سيتحقق فعلك: فإذا بلغت الروح الحلقوم هناك تدرك لبيك اللهم لبيك، فلا تستطيع ردها، وهكذا عند البعث والحساب والجزاء.

❖ إذا أنت هنا أخي الحاج، وفي طريقك إلى المسجد الحرام، حيث المحشر، تصور نفسك لازلت في دار البرزخ، فأنت في طريق للدار الآخرة.

والآن - عزيزي الحاج - ننتقل سويًا لنصل إلى البيت الحرام، هناك حيث الطواف والسعي والمشاعر العظام، لنستقي بعض المقاصد النبيلة، فأعزني قلبك وجوارحك - يربحك

الله.

عند الوصول إلى أرض الحرم

هنيئاً لك أخي الكريم، هنيئاً بوصولك إلى بيت الله الحرام، هناك حيث الطواف بالبيت، ومع ذكريات هاجر وابنها إسماعيل بين الصفا والمروة، ومع نفحات منى وعرفات، ومزدلفة حيث المشعر الحرام، فهنيئاً لك أخي الحاج الكريم.

وعند وصولك إلى البيت الكريم، استحضر عزيزي الحاج هذه المعاني العظام:

❖ استحضر - عزيزي الحاج - عظمة هذا المكان، فهو أفضل بقعة عند الله تعالى، عظّمه الله تعالى بالطاعة، فالمعصية فيه عند الله تعالى عظيمة، وانتهاك حدوده فيه جرم كبير، تأمل معي قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِحَادٍ يُظْلَمِ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}.

❖ وفي الوقت نفسه - أخي الحاج - لا تستحضر أنك تبتعد عن المعاصي في هذا المكان لذات المكان، فالمكان مخلوق من مخلوقات الله تعالى، فلا تشركه مع الله جلّ وعلا، فالله غني عن هذا المكان وعن مخلوقاته جميعاً، فأنت هنا - أخي الحاج - في تربية ربانية، وأعظم معانيها التوحيد المطلق لله تعالى، وتعظيم ما عظّمه الله سبحانه وتعالى.

❖ الناس في هذا المكان سواء، الجميع وفود الله تعالى وضيوفه، الساكن فيه والوافد إليه، الأبيض والأسود، الغني والفقير، الذكر والأنثى، الرئيس والمرؤوس، يتفاضلون فقط بقربهم من الله، ووقوفهم عند حدوده، فلا اعتبار لتفاضل جنسي أو مالي أو مكاني، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ}، فلتعلم أخي الحاج أنك لا تتميز عن

غيرك من البشر بشيء، فلونك أو نسبك أو مالك أو منصبك لا قيمة له عند الله تعالى، فمقياس القرب إليه سبحانه واحد لا غير، ألا وهو التقوى والعمل الصالح، فلا تغتر بمنصبك أو مالك أو نسبك، واستعد دائما للقاء الله تعالى، متميزا ومنفردا ومعتدا بزاد التقوى، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }.

❖ في هذا المكان – أخي الحبيب – نفحات الخليل إبراهيم عليه السلام، والذي جاء بدعوة التوحيد، فاستحضر هذا التوحيد الخالص في قلبك، في جميع أعمالك وتصرفات، في أقوالك وأفعالك، فطهر قلبك وجوارحك من أدران الشرك، وحاول أن تتبع في القرآن² دعوة إبراهيم وهو يدعو إلى التوحيد لله سبحانه وتعالى: { وَإِذْ

² افتح المصحف، وحاول عندما تكون في البيت الحرام أن تتأمل فيها، وادرسها مع زملائك وأهلك ورفقتك:

- ◆ البقرة، الآيات 124 – 135.
- ◆ البقرة، آية 258.
- ◆ البقرة، آية 260.
- ◆ آل عمران، الآيات 65 – 68.
- ◆ آل عمران، الآيات 95 – 97.
- ◆ النساء، الآيات 125 – 126.
- ◆ الأنعام، الآيات 74 – 90.
- ◆ الأنعام، الآيات 161 – 164.
- ◆ إبراهيم، الآيات 35 – 41.
- ◆ النحل، الآيات 120 – 123.
- ◆ مريم، الآيات 41 – 50.

بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}.

❖ أحبتي الحجاج: هذا المكان طاهر نظيف، فكما نبتعد عن الوسخ المعنوي من
معاصي وفسوق، فعلينا أن نبتعد عن الوسخ المادي، لنكون دائما نجمع بين الطهارة
المادية والمعنوية، يقول نبيك إبراهيم عليه السلام: { وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}.

والآن عزيزي الحاج، وأنت ذاهب إلى المسجد الحرام، وفي طريقك إليه، استحضر هذه

المعاني العظيمة:

◆ الأنبياء / 51 – 70.

◆ الحج، آية 78.

◆ الشعراء، الآيات 69 – 89.

◆ الصافات، الآيات 83 – 113.

في الطريق إلى المسجد الحرام

عزيزي الحاج: وفي طريقك إلى المسجد الحرام، لأداء شعيرة الطواف بالبيت، استحضر التالي:

❖ انظر إلى الخطوات التي تخطوها إلى البيت، تصور نبي الله إبراهيم، وابنه إسماعيل، ومحمدا خاتم النبيين، على أنبياء الله أفضل صلاة وأزكى تسليم، انظر إلى خطواتهم، وانظر إلى خطواتك، فأنت تقتدي بهم في الاستجابة لله سبحانه وتعالى، حيث لبيت نداء إبراهيم الخليل، واستجبت لأمر نبيك - صلى الله عليه وسلم -، فهلا كان أنبياء الله تعالى قدوة لك في الخير والطاعة والاستجابة ما دمت حيا، تأمل معي قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}.

❖ استحضر مرة أخرى - أخي الحبيب - وقبل أن تدخل البيت أنت في دورة إيمانية، فحاول أن تستفيد منها قدر الإمكان، واجعل قلبك ذاكرا، وعقلك متأملا، ولسانك رطبا طيبا، لتكون حياتك هكذا، كما أَرادها الله جلّ وعلا.

❖ أخي الحبيب: هناك ملايين من أخوتك يتمنون أن يكونوا الآن مكانك، لم يستطيعوا الحضور لعمل شاغل، أو قلة في المال، أو ضعف في بدن أو صحة، فاشكر الله تعالى على هذه النعمة، ولا تنسى إخوانك من دعائك الصالح، وكن خير ممثل عنهم مع الله سبحانه وتعالى.

❖ ثم تأمل - أخي الحبيب - هناك آلاف من البشر، لا زالوا على دين الشرك والأوثان، منهم من يعبد البقر والصنم والحجر، وأنت جئت إلى الله موحدا ملبيا، وانظر أيضا إلى إخوان لك من الموحدين، يقولون: لا إله إلا الله، والعشرات منهم لاهون عن الله

تعالى، غرّهم الدنيا بزخرفها الفاني، فأصبحوا مسلمين شكلا لا حقيقة، وأنت جئت إلى الله تعالى طائعا راغبا، فاشكر الله تعالى كثيرا على هذه النعمة، واسع بعد رجوعك إلى تبليغ دين الله سبحانه، فاذكر الله بهذه النعم ذكرا كثيرا {وَأذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ}.

❖ والآن - عزيزي الحاج - وأنت في طريقك إلى البيت الحرام تأمل في قوله تعالى: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

والآن عزيزي الحاج، وقد دخلت المسجد الحرام لأداء نسك الطواف، استحضر هذه

المعاني والمقاصد الجليلة، مع التقيد بالأدبيات القرآنية الرفيعة.

عند الطواف بالبيت

ما أجمل البيت الحرام، جمال المكان، مع حلاوة اللقاء، انظر - أخي الحبيب - إلى الكعبة المشرفة - زادها الله تعالى شرفا وتعظيما -، وتأمل معي قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

والآن نقف سويا مع مقاصد وأدبيات الطواف حول البيت:

❖ وأنت تطوف - أخي الحاج والمعتمر - حول البيت تذكر أنّ هذا البيت مخلوق مثلك، لا ينفع ولا يضر، والطواف حوله تربية على التوحيد الحقيقي لله تعالى، فتوحيدك لله، وقولك لا إله إلا الله، لا يعني كلمات تردد، بل هو طاعة واستسلام لله سبحانه وتعالى، فأنت هنا بطوافك حول حجر لا ينفع ولا يضر، علامة على الاستسلام لله جلّ وعلا، خاطب الله تعالى نبيك إبراهيم وهو يرفع قواعد البيت بقوله: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

❖ هذا البيت - عزيزي الحاج - أول بيت وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده، فيه آيات بينات، فحاول وأنت تطوف بالبيت أن تتفكر فيه، وتستخلص بعض المقاصد التي توصلت إليها، وقم بدراستها مع أهلك أو زملائك في الرحلة، قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ،

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {.

❖ في بداية طوافك بالبيت تقول أخي الحبيب: الله أكبر، هل سألت نفسك
لماذا تستفتح الطواف بالتكبير، لأنّ في هذا إعلان واضح، فأنت تعلن أمام
الملا أنّ الكعبة مهما كانت كبيرة وعظيمة في نظرنا، إلا أنّها اكتسبت هذه
العظمة، وهذا الكبرياء من خالقها سبحانه وتعالى، فيا كعبة الخير، مهما
ارتفعت وعلوت في أعيننا، إلا أنّ الله هو صاحب الرفعة والعظمة المطلقة، لا
نشرك معه إلهاً آخر.

❖ منهج التوحيد - أخي الحاج - انطلق من هذا المكان، وعليه سار الأنبياء
والصالحون، فهذا حبيبك الفارق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال
عندما استلم وقبل الحجر الأسود: أما والله لقد علمت أنّك حجر، ولولا أنّي
رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتُك.

❖ انظر عزيزي الحاج إلى الطواف حول البيت، تبدأ من نقطة واحدة وهي الحجر،
وتنتهي بنقطة واحدة وهي الحجر، طال الطواف بسبب الزحام أم قصر،
وهكذا الحياة الدنيا بدأتها بنقطة الولادة، ويوما ما ستفارقها بنقطة الوفاة،
طالت المدة أم قصرت، وهذه سنة الله تعالى، لا تتغير ولا تتبدل.

❖ كم عدد الأشواط أخي الحاج والمعتمر؟ لا شك سبعة، فتبدأ الشوط الأول،
وكلما زدت شوطاً اقتربت من مرحلة الصفر، وهكذا عمرك، كلما ازدادت يوماً
لا يعني أنك كبرت وزاد عمرك، بل الحقيقة خلاف ذلك، فكلما تقدمت يوماً

في العمر كلما نقص يوم من عمرك، فأنت تسير إلى مرحلة الصفر من حياتك،
فاجعل حياتك في طاعة الله تعالى.

❖ وانظر إلى الأشواط السبعة، جعلها الله تعالى سبعة لحكمة، فهي تمثل عقدا
من الزمن، والعقد عشر سنوات، أي أنّ السبعة الأشواط تساوي سبعين سنة،
والناس في الغالب لا يعمرّون أكثر من سبعين سنة، ومن زاد أكثر من ذلك
فقد وصل إلى مرحلة الشيخوخة ضعيفا مريضا، ليكون آية للناس على فناء
الحياة الدنيا، وقليل جدا من يبلغ ذلك، فتصور نفسك أخي الحاج كلما أنهيت
شوطا أنهيت عقدا من عمرك، فحاسب نفسك كيف كان هذا العقد مع الله
تعالى!!؟

❖ انظر عزيزي الحاج إلى من حولك من الناس، الكل مشغول بذنبه ونفسه،
والكل يبكي لخطاياهم وجرمه، والكل يرجو رحمة ربه، فهذا يذكرك يوم المحشر،
وأنت تنتظر الحساب، حينها لا يهملك إلا نفسك، {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةَ،
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.

❖ انظر عزيزي الحاج: انظر إلى الطائفتين، ألوانهم متنوعة، وأفكارهم مختلفة،
وبلدانهم متباينة، والكل يدعو ربا واحدا، ويطلبها طبا واحدا، ويخاف يوما
عظيما، فهذه الأمة التي أرادها الله تعالى أن تكون بين الأمم، أمة واحدة، لا
يفرقها التباين في الأجناس والمذاهب والتوجهات، فالمؤمنون أخوة، وتأمل وأنت

تطوف أخي الحبيب قوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}.

❖ ثم انظر أخي الحبيب، الناس يطوفون في جمال بديع، وفي نظام دقيق، في دائرة واحدة، فلماذا لا نربي أنفسنا على النظام، ونعيش مع النظام، لنحيا حياة نظام وأمان.

❖ لا شك أخي الحبيب أنك في بداية طواف القдом تضطبع في الأشواط الثلاث الأولى، أي تظهر الكتف الأيمن، وتغطي الكتف الأيسر، وتهول كذلك في الأشواط الثلاث الأولى بدون ضرر للآخرين، وهذا من السنن، والسؤال الذي أطرحه عليك هنا: أتدري سبب ذلك؟ السبب - أخي الحبيب - لما حج النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرة القضاء، كانوا منهكين متعبين، فتصور المشركون أنّ حمى يثرب أصابتهم، فقال عليه السلام لأصحابه: أروهم اليوم من أنفسكم قوة، فأمرهم بالاضطباع إظهارا للكتف، مع السرعة في المشي، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - يعلمنا بهذا أن نكون عنصر قوة بين الأمم، نجتمع بين القوى الثلاث: الروحية بقوة الإيمان، والعقلية بقوة الفكر والنظر، والبدنية بقوة الصحة والبدن.

❖ أخي الحبيب: من الطائفتين أخوان لك من الضعفاء والنساء وكبار السن، فكن عوناً لإخوانك، ولا تؤذي أحداً، فلا تجتمع طاعة الطواف مع معصية الإيذاء.

والآن عزيزي الحاج، وقد أنهيت الطواف، استحضر هذه المعاني حلق مع مع

بعض مقاصد ركعتي الطواف.

مقاصد ركعتي الطواف

أخي الحاج الكريم: في هذا المكان المبارك الجليل، وأنت تتأمل مليا، وتسترجع التاريخ قليلا، لتستحضر ذكريات إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت، وتعود الذكرى إلى نبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو يشارك قومه في إعادة بناء الكعبة، وأنت في هذا المكان، تدبر وتأمل قوله تعالى: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }.

والآن قف معي - أخي الكريم - مع هذه المقاصد من الركعتين:

❖ انظر إلى مقام إبراهيم، واتلو قوله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }، وقد خلد الله تعالى هذا المقام إلى يوم الساعة.

❖ انظر بماذا أمرك الله تعالى أن تفعل عند المقام، أمرك بالصلاة، وهي علامة التوحيد، وانظر إلى بعض الناس ماذا يفعلون، يتمسحون بالمقام، فالله أمرهم أن يقتدوا بأبيائه ليكونوا مسلمين موحدين، وهم يتمسحون بما لا ينفع ولا يضر، والصلاة - أخي الحاج - عنوان التوحيد، حفظها الله تعالى بركوعها وسجودها، وهي سنة نبينا إبراهيم، والذي وصى أولاده ونحن من ذريتهم بتوحيده جلّ وعلا: { وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }، أي موحدون ومستسلمون لله وحده لا شريك له.

❖ تستفتح صلاتك - أخي الحاج والمعتمر - في الركعة الأولى بالفاتحة وسورة الكافرون، وفي الثانية بالفاتحة وسورة الصمد، أتدري لماذا؟ لأنه كان في يوم من الأيام في هذا المكان تنتشر الأصنام، وتُعبَد الأحجار، وتُقدَّس المخلوقات، فأنت هنا تعلن براءتك من عبادة غير الله تعالى: **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وتوجه لله الواحد، الفرد الصمد، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فتكون حياتك كلها توحيد واستسلام لله الواحد الأحد.**

والآن ننتقل جميعاً للتأمل في بعض مقاصد ماء زمزم:

مقاصد ماء زمزم

ماء زمزم، ذلك النبع الصافي، يحمل في طياته صفاء الأمومة، أمومة السيدة هاجر زوج إبراهيم الخليل، وأم إسماعيل السميع، وهي تبحث عن الماء، فقد جف لبنها، وإسماعيل يصيح من الجوع، فينبع الله تعالى الماء في أرض جافة، لا ماء فيها ولا زرع، فعليك أخي الحبيب، وأنت تتضرع من هذا الماء أن تتذكر:

❖ تذكر أمك التي تعبت من أجلك، فأكلت كرها لتعيش أنت، وسهرت كرها لتحيا أنت،
{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

❖ ثم انظر إلى السيدة هاجر، لم تستسلم للقدر والموت، بل ظلت تبحث عن الماء، وهكذا لا ينبغي أن تيأس إذا ابتليت بنقص في الأموال والزرع والصحة، بل ابحث عن العلاج، وخذ بالمسبيات، واجعل اليأس بعيدا عنك، {إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَاْفِرُونَ}.

❖ أخي الحاج: لقد أنهيت طوافك والتعب ألم بك، فتشرب من الماء مرتويا متزلعا، فتذكر يوم القيامة، وقد ألم العطش العباد، هناك إما أن تشرب من أحواض الجنان، أو من حميم النيران، فاجتهد لتكون من السابقين إلى روضات النعيم، {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُؤُلَاءِ وَلَعِبًا وَغَرَّهُمْ حَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}.

❖ أخي الكريم: سنّ لك الحبيب - عليه السلام - أن تشرب من ماء زمزم، وأن تتضلع
منها، فاعلم عزيزي أنّ هذا من الأسباب، فاستحضر في قلبك مسبب الأسباب، وهو الله
تعالى لا شريك له، وإنما تتوسل بهذا المخلوق إليه لتنال خيرات الرب لا إله غيره، {الَّذِي
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}.

والآن عزيزي الحاج، وأنت ذاهب للسعي بين الصفا والمروة، استحضر هذه المعاني
والمقاصد الجليلة، مع التقيد بالأدبيات القرآنية الرفيعة.

مقاصد السعي بين الصفا والمروة

الصفا والمروة جبلان عظيمان، يدلان على عظمة الخالق جلّ وعلا، هناك صعدت هاجر ونزلت، ومشت وهرولت، بحثا عن الماء، فخلد الله تعالى هذه الذكرى، لتكون آية إلى يوم القيامة، فتأمل عزيزي الحاج في قوله تعالى: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } .

والآن أتركك أخي الحاج والمعتمر مع هذه المقاصد:

❖ أخي الكريم: انظر بماذا تفتتح سعيك؟ أليس تفتتح بقولك: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

❖ والسؤال هنا: لماذا تفتتح بهذا؟ انظر أين كان يجتمع المشركون ويخططون؟ أليس في دار الندوة، أتعلم أين كانت دار الندوة؟ إنها كانت على الصفا، هناك اجتمع المشركون بالتعاون مع اليهود ومشركي الجزيرة للقضاء على الدعوة الإسلامية في يوم الأحزاب، مما أخاف المؤمنين، وأدخل في قلوبهم الرعب، وفرح بذلك المنافقون، { إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا }، فيرسل الله تعالى نصره وتأيبه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}، فأظنك بذلك أخي الحبيب أدركت لماذا نفتح بعظمة الله والتذكير
بنصره ومجده.³

❖ في هذين الجبلين، كان أكبر أصنام قريش، اللات والعزى، فعندما أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين بالطواف بين الجبلين، دخل في قلوبهما الحرج، فجاء أمر الله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}، وسنّ لهم الحبيب - عليه السلام - أن يفتتحو ب الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويكررو ذلك في الجبلين في كل شوط، إعلانا بوحداية الله تعالى وعظمته.

❖ نفتح سعيها أخوا الأخوا بالتكبير "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر" لنستحضر أن الجبلين مهما تعاطما وكبرا في أعيننا، إلا أن الله تعالى أكبر وأعظم، ولولا أن الله أمرنا بذلك لما فعلنا، فنحن نستجيب لله وحده لا شريك له سبحانه.

❖ أخي الحبيب: أنت تهرول بين العلمين، هذا المكان كان أسفل الجبلين، مكان ومجرى الوادي، إذا تخيل ارتفاع الجبلين، خاصة المروة، وانظر إلى تلك المرأة الضعيفة كيف كانت تكابد من أجل ولدها، فانظر إلى عظم الأم ومكانتها من خلا سعيك بين الجبلين.

❖ لا شك أنك تشعر بالتعب والجهد من جراء الطواف، وهكذا الدنيا دار تعب وجهد، وعمما قريب ستنهى السعي، ولن تشعر بكل ما كابدته من عناء ومشقة، فكذلك عما قريب ستفارق الحياة، ولن تشعر بتعب ونكد الدنيا، فاستعد - يراك الله تعالى - للقاء

³ حاول أن تتأمل أخي الحاج في آيات الأحزاب من سورة الأحزاب، الآيات: 7 - 27، وحاول أن دراستها مع أهلك وإخوانك.

الله سبحانه وتعالى، فتأمل معي قولَ تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلَاقِيهِ }.

❖ وأخيرا أذكرك بالمحافظة على النظام والنظافة في مكان المسعى، وابتعد ثم ابتعد عن إيذاء
الآخرين بقدر ما تستطيع.

والآن ننطلق جميعا للتأمل في بعض معاني التحلل:

معاني ومقاصد التحلل

ما أجمل التحلل بعدما محضورات حافظت على اجتنابها، وامثلت أمر الله سبحانه وتعالى بالابتعاد عنها، فهنيئاً لك أن يطمئن قلبك، وتسعد نفسك، بعد ما راقبت الله في حجك وعمرتك، والآن تأمل معي هذا المقصد من التحلل:

❖ أخي الحبيب: محضورات الإحرام كانت لفترة معينة، وهناك محضورات من قبل الله تعالى لا يجوز الاقتراب منها إلى يوم تلقاه، فكما فرحت اليوم بتحللك، هناك فرحة كبرى بالتحلل من تعب وابتلاء التكليف يوم تلقى الله تعالى، وكما صبرت في الحفاظ على إحرامك، فاصبر في الحفاظ على طاعة الله تعالى، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

والآن عزيزي الحاج، وأنت ذاهب إلى منى يوم الثامن من ذي الحجة، استحضر هذه المعاني والمقاصد الجليلة، مع التقيد بالأدبيات القرآنية الرفيعة.

معاني ومقاصد يوم التروية

في هذا اليوم العظيم، يوم الثامن من ذي الحجة، يشدّ الحجاج رحالهم إلى أرض منى، هناك يبيتون ليلة التاسع في ذكر وتبتل ودعاء، والآن نتأمل سوياً - أخي الحاج - في بعض مقاصد يوم التروية:

❖ ها قد لبست - عزيزي الحاج - لباس الإحرام، إنه الكفن بعينه، فأنت هنا في رحلة أخروية، لتعيش ليلة التاسع في مقبرة جماعية، فتدّكر حملك إلى القبور، حيث تقضي في دار البرزخ قبل النشور لدار الحساب.

❖ انظر إلى الناس حولك في ليلة الثامن، الكل نيام، إنه الموت الأصغر، المذكر بالموت الأكبر، ينتظرون يوماً عظيماً، يوم الحساب والمناجاة⁴.

❖ هذا المكان عزيزي الحاج عظمه الله تعالى بطاعته، فاجتنب كلّ ما يدنس من غيبة ونميمة ونظر محرم، وحافظ على نظافته المادية والمعنوية، قال سبحانه: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ }.

4 تأمل وتدبر في هذا اليوم مع أصحابك الآيات التالية:

◆ آل عمران، آية 185.

◆ النحل، آية 32.

◆ الأنفال، آية 50.

◆ يس، الآيات 50 - 53.

◆ الحديد، الآيات 12 - 15.

◆ الأعراف، 44 - 51.

- ❖ تقيدك عزيزي الحاج بالأنظمة في هذا المكان، واحترامك لحجاج بيت الله الحرام، دليل على رغبتك الصادقة في التوسل إلى الله تعالى بقبول وإجابة حجك، نسأل الله تعالى لك ذلك.
- ❖ قد تجد عزيزي الحاج تصرفات سلبية من الحجاج، وتصرفات سيئة عند دورات المياه وغيرها، فاستعن بالصبر، وتحلى بأخلاق الأنبياء في العفو والصفح والنصح الخالص.
- ❖ هذا اليوم ثمين، يحسدك عليه عشرات من الناس، يتمنون مكانك فيه، فلا تضيع وقتك فيما لا يفيد، واستغله في كل عمل صالح مفيد.

والآن عزيزي الحاج، لنأمل سويا في مقاصد يوم عرفة المبارك.

معاني ومقاصد يوم عرفة

في هذا اليوم المبارك، يوم التاسع من ذي الحجة، يوم عرفة، يفيض الحجاج بقلوب وجلة، للوقوف في عرفات، وقبل وقوفك - عزيزي الحاج - تأمل مع هذه المقاصد والأدبيات الرفيعة:

❖ عندما تشرق شمس يوم عرفة، تسمع الهرج والمرج، والناس زرافات من أجناس مختلفة، وبلغات متعددة، يتجهون إلى مكان واحد، ويتوسلون لرب واحد، هذا الشروق مذكر بالنفخ في الصور يوم النشور، تأمل معي قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}.

❖ انظر - عزيزي الحاج - ها هي الأصوات ترتفع في عرفات، ويكثر البكاء والعيول، وتتساقط الدموع من العيون، وتهمز الأبدان من هيئة الموقف، وعظمة المكان، في هذا اليوم تسألون مسألة المسكين، وتبتهلون ابتهاال المذنب الذليل، وتدعون دعاء الخائف الضرير، أعناقكم خضعت للعزيز الحميد، وذلت أجسادكم للسميع العليم، وفاضت أعينكم للرحيم الكريم، هنا تكثر الدعوات، اللهم إنا نسألك يا غفور يا رحيم، أن تفتح لأدعيتنا أبواب الإجابة، يا من إذا سأله المضطر أجابه، يا من يقول للشيء كن فيكون، اللهم إنا جئناك بجمعنا متشفعين إليك في غفران ذنوبنا، فلا تردنا خائبين، ولا تصرفنا عن هذا المشعر إلا فائزين مفلحين، غير خزايا ولا نادمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وهذا يذكركم بيوم المحشر، يوم يقف الناس مهطعين مقنعي رؤوسهم ينتظرون قضاء الرب، وإعطاء الكتاب، فقف هنا عزيزي مع قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَنِنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا، إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ، بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا⁵.

❖ عزيزي الحاج: إنَّ مما يبطل الأجر، ويرد الدعاء، الكبر والغرور على الخلق، فلا تغتر بما كنتَ عليه - أخي الحاج - من منصب أو غنى أو مكانة، فتتكبر على العباد، كما فعل متكبروا مشركي قريش، والذين يسمون أنفسهم بالحمس، فكانوا يقفون بعرفة في مزدلفة ترفعا على الخلق، فأنزل الله تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

❖ عزيزي الحاج: حَبَبَ لَكَ النَّبِيُّ الْكَرِيمَ - عليه أفضل صلاة وتسليم - أن تكثر من قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تأكيداً على دعوة التوحيد الخالصة له سبحانه وتعالى، وتذكر هنا قوله تعالى: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}، فكن مع الله موحداً في الدنيا، فيوم القيامة لن تجد أحداً ينفَعُكَ غير الله تعالى، فلا تشرك معه مخلوقاً آخر سبحانه.

❖ ويدخل في هذا تقديس جبل الرحمة، والطلوع فيه، واعتقاد البركة حوله، أو عند الصخرات، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: وقف ها هنا، وعرفة كلها موقف، والله سبحانه موجود، لا يحده زمان ولا مكان، ولا تقترب إليه بطلوع الجبل، ولا تبتعد عنه ببعْدك عن الجبل، يقول تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.

⁵ تأمل عزيزي الحاج في هذا اليوم المبارك مع إخوانك الآيات التالية:

❖ فصلت، الآيات 19 - 24.

❖ الزمر، الآيات 68 - 75.

❖ مرة أخرى نذكرك أخي الكريم بالنظام والنظافة والتقيد بالقوانين المسنة، فأنت سفير لدينك ووطنك، واصر على أذى إخوانك، وكن ناصحا لهم لطيفا.

والآن نعيش جميعا - عزيزي الحاج - مع مقاصد وأدبيات الإفاضة من عرفات.

معاني ومقاصد الإفاضة من عرفات

بعد غروب شمس يوم عرفة تفيض أخي الحاج من عرفة وعليك السكينة والوقار، والآن وأنت تفيض هلا تأملت معي هذه المقاصد والأدبيات:

❖ عزيزي الحاج: إذا ما غربت شمس هذا اليوم ارتجت القلوب رجاً، واهتزت الأجسام هزاً، أهي فائزة مقبولة؟ أم أئها من أهل الشمال والخذلان، فإذا ما غربت شمس يوم عرفة أفضتم إلى مزدلفة بالسكينة والوقار، وكأنتكم تفيضون من أرض المحشر إلى جنات عالية، وسرر مرفوعة، هنا تذكر - أخي الحاج - فرحتك بإتمام النسك، والحج الأكبر، يوم عرفة، بفرحة الجنان، والعنق من النيران، وتأمل معي قوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا }.

❖ حثك حبيبك - صلى الله عليه وسلم - أن تفيض وعليك السكينة والوقار، وهذا تأديب رباني، فالعبادات رأس التواضع والنظام، فلا معنى لإيذاء الخلق في طاعة الحج، ولا معنى للترفع عليهم والكل عبيد لله تعالى، والله لا ينظر إلى مناصبنا وأجناسنا، ولكن ينظر إلى أعمالنا، وتقوانا وحده يصل إليه سبحانه.

❖ فالحج - عزيزي الحاج - عبادة مصغرة، لتكون دورة تدريبية، وإلا فحياتك كلها حج وقصد له سبحانه، منذ ولدت وحتى تموت، فلا تبطل أجر حياتك بإيذاء الناس، والتكبر والترفع عليهم، وتأمل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ }.

والآن نطلق جميعاً - أخي الحاج الكريم - لتأمل في مقاصد المبيت بمزدلفة:

مقاصد وأدبيات المبيت بمزدلفة

في هذه الليلة المباركة، بيت الحجاج في فرح وسرور، يستقبلون بها هدية الله تعالى، يوم النحر الأغر، فهذه الليلة تحمل مقاصد وأدبيات عظام منها:

❖ هذه الليلة - عزيزي الحاج - تذكر بآخر لحظة يقضيها الإنسان قبل دخول الجنان، تصور لنا تلك الفرحة، كم ستكون سعيدا بها، فابذل جهدك لتحقيقها يوم تلقى الله تعالى، قال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}.

❖ عزيزي الحاج: مزدلفة كلها موقف، والمشعر الحرام يعمها جميعا، وحبيبك - عليه الصلاة والسلام - يقول: "وقفتُ ها هنا وجمع كلها موقف"، والله تعالى يقول: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}، فلا تؤذي إخوانك - رحمك الله - فمزدلفة كلها موقف ومشعر، ولا تجمع حلاوة الذكر مع إيذاء ضيوف الرحمن، فلا تجتمع الطاعة أبدا مع المعصية.

❖ نذكرك مرة أخرى - أخي الحبيب - أن هناك آلاف من البشر، لا زالوا على دين الشرك والأوثان، منهم من يعبد البقر والصنم والحجر، وأنت جئت إلى الله موحدا ملبيا، وانظر أيضا إلى إخوان لك من الموحدين، يقولون: لا إله إلا الله، والعشرات منهم لاهون عن الله تعالى، غرهم الدنيا بزخرفها الفاني، فأصبحوا مسلمين شكلا لا حقيقة، وأنت جئت إلى الله تعالى طائعا راغبا، فاشكر الله تعالى كثيرا على هذه النعمة، واسع بعد رجوعك إلى تبليغ دين الله سبحانه، فاذا ذكر الله بهذه النعم ذكرنا كثيرا، خاصة في هذه الليلة المباركة {وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ}.

❖ إياك ثم إياك أن تشرك مع الله إلها آخر، فالحجر الذي تجمععه لا ينفع ولا يضر، والمشعر الحرام من مخلوقاته وحده سبحانه، فاخضع له سبحانه وحده توحيدا وتنزيها.

❖ وابتعد - أخي الحاج - في هذه الليلة عن القيل والقال فيما لا ينفع، ولا تؤذي إخوانك النائمين برفع صوت، واجتنب الغيبة والنميمة وقول الزور، ليكون منهجا لك في حياتك دائما، لا يخرج من فمك إلا الكلام الطيب المفيد، وهنا تأمل معي قول الله تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}.

❖ شرع لك - أخي الحبيب - أن تنام مبكرا هذه الليلة، لما ينتظر من أعمال مجهدة في اليوم العاشر، وهذه تربية ربانية، وهي أن نعطي الجسم حقه من الراحة، وإن كانت العبادة المحظة تؤثر على العمل الواجب فلا يجوز أن نضيع الواجبات بسبب نوافل، مع الترغيب في النوافل والإكثار منها، ولكن بعد أداء الواجبات، كما أن النوم إذا كان تقوية للطاعة كان عبادة وذكرًا، فاجعل حياتك - أخي الحاج كلها عبادة وذكرًا - قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.

❖ أباح الشرع الحنيف للنساء والضعفاء والمرضى أن يفيضوا بعد غروب القمر، لأن الدين الحنيف دين يسر ورحمة، قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}.

❖ نذكرك مرة أخرى - أخي الحاج الكريم - بالصبر، خاصة عند دورات المياه، ولما يحدث من بعض الحجاج من جهل وتصرفات سلبية، مع مراعاة النظام، والاهتمام بنظافة المشعر الحرام.

والآن نعيش سويا مع مقاصد يوم العاشر، يوم النحر المبارك.

مقاصد ومعاني يوم النحر المبارك

اليوم يوم جميل، يوم من أيام الجنان، تجتمع فيه أفراح القلوب مع أفراح البدن، فلنحلق في بعض مقاصد هذا اليوم المبارك:

❖ أخي الحاج: في يوم العاشر؛ رأيت النَّاسَ فرحين مسرورين، وجوههم مشرقة سعيدة، بفضل الله ومنته، فها هم اليوم يبدأون يوماً جديداً، وصفحة بيضاء جديدة، بعد غفران الذنب، وقبول التوبة، إنَّها أيام أكل وشرب وذكر لله عزَّ وجل، يتصورون أيام الجنان، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيشكرون الله على هذه النعمة، فيرمون الجمار معلنين الولاء والخضوع له عزَّ وجل، ويفيضون بالبيت العتيق اعترافاً بفضل الله ومنته.

❖ أعمال يوم العاشر تعمل في أوقات محددة، ووفق ترتيب معين، والإسلام بذلك يعلمنا أن نكون أمة منظمة، تضع جدولها ليومها، وتخطط لغدها، وتعمل بما خططت.

❖ الإسلام في تربيته للنفس يجمع بين الواجبات والطيبات، والواجبات تذكير بالله ليستغل العباد الطيبات في شكره سبحانه، ويتقنون بها على طاعته، فالحياة الدنيا كلها طيبات، ولا بد من جعلها في طاعة الله سبحانه وتعالى، تأمل معي قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}.

❖ الفرح الجميل، واللهم الخالي من المحرمات، والكلام الطيب البعيد عن الزور، كلَّ طيب مباح، فأنت عزيزي الحاج تعيش يوم الفرح والبهجة، فاجعل ذلك في طاعة الله سبحانه وتعالى.

مقاصد ومعاني الرمي في يوم النحر المبارك

ترمي - أخي الحاج - في صباح يوم العاشر، بعد شروق الشمس، جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات، والآن تأمل معي مقاصد الرمي:

❖ شرع الله تعالى لنا الرمي ليرى امتثالنا له سبحانه وتعالى، فهذا إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - يستجيب لربه في ذبح ابنه إسماعيل، فيبتلينا الله نحن كذلك في رمي مكان في وادي لا ينفع ولا يضر، لناخذ دورة عملية في الاستجابة له سبحانه وتعالى.

❖ أيها الحاج الكريم: إنما جعل الطواف بالبيت، وبالصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله تعالى، وليس كما يعتقد بعض الناس أنّ الشيطان موجود في تلك الحفرة أو الوادي، وهم بذلك يرمون الشيطان، والشيطان لا يرمى بالحصى، وإنما بالطاعة والامتثال له سبحانه وتعالى، فعلينا أن نرمي الشيطان أبداً ودائماً إلى يوم نلقى الله تعالى، بطاعتنا له سبحانه جلّ وعلا.

❖ تذكر دائماً توحيدك لله سبحانه وتعالى، فأنت تبدأ الرمي بالتكبير، أي بقولك الله أكبر، معلنا بذلك أنّ الكبير المتعالي وحده هو الله لا شريك له.

مقاصد ومعاني الذبح في يوم النحر

في اليوم العاشر تتقرب عزيزي الحاج إن كنت متمتعا، ويستحب لك إذا كنت قارنا أو منفردا، ويشاركك في ذلك ملايين من المسلمين في مشارك الأرض ومغاربها، إذا يتقربون بسنة الأضاحي، والآن أتركك مع بعض المقاصد من النحر:

❖ تصور معي - عزيزي الحاج - لو قيل لك الآن أنّ ابنك مريض، ماذا ستكون ردة فعلك؟ والآن تأمل معي نبيك إبراهيم، يرزق بولد بعد سنين طوال من عمره، فيفرح به، ويتهج بقدمه، ولكنها فترة بسيطة وبيتليه ربه، ليس بمرض ينزل إلى إسماعيل مباشرة، ولكن على إبراهيم نفسه أن يتسبب في موت ابنه، فرأى في المنام يذبح ابنه، وهذا أمر الله، فيستجيب إبراهيم لأمر ربه، فيستعدّ لذبح ابنه، فيرى الله صدق نبيه إبراهيم، فيفديه بكبش عظيم، ويخلد هذه الذكرى إلى يوم الدين، في شعيرتي الهدى والأضاحي، فاستحضر هذه الذكرى أخي الحاج الكريم، واجعل قربانك خالصا لوجه الرب الرحيم.

❖ اعلم عزيزي الحاج أنّ ذبحك لن يصل إلى الله تعالى، وإنما يصل إليه قصدك وتقواك وإخلاصك له سبحانه وتعالى، تأمل معي قوله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}.

❖ لم يشرع الله تعالى الذبح للتباهي في الهدى والقربان، أو الإسراف بها، وإنما شرعها لذكره سبحانه، وإطعام الجائع الفقير، والآن أتركك مع قوله سبحانه لتأمل فيه: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}.

❖ انظر عزيزي الحاج إلى نعمة الأنعام، من إبل وبقر وغنم وضأن، سخرها الله تعالى لك لتتعم بها أكلا وشربا، وسيرا وجمالا، فاشكر الله على هذه النعمة، واجعلها في طاعته، واطعم بها

المحتاج، ولا تسرف بها بأي حال، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ
عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا
قَوْلَ الزُّورِ}.

❖ الحمد لله عزيزي الحاج تأكل وتشرب بكل هناء وطيب نفس، وانظر إلى أمم حولك لا يجدون
قوتَ يومهم، يعتاشون على فتات العيش، وأنت تتنعم بالخيرات، وتتمتع بالطيبات، فاجعل
للآخرين نصيباً من النعيم، وانظر إلى إخوانك كما تنظر إلى نفسك، قال تعالى: {وَالْبُدْنَ
جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

معاني ومقاصد التحلل الأصغر

عزيزي الحاج، أراك قد رميت جمرَةَ العقبة الكبرى، وبعدها ذبحت إن كنت متمتعا، والآن يباح لك التحلل، فيباح لك إلا النساء، وفي هذا من المقاصد منها:

❖ بعد تلك الرحلة الشاقة، وقد صبرت على طيبات تتمتع بها، يباح لك اليوم ما حرم عليك، فتشعر بفرحة كبيرة، بعد صبر عظيم، فتصور - عزيزي الحاج - فرحة الجنان، ونعيم الخلود الأبدى، بعد صبر في الدنيا على طاعة الله تعالى، تأمل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }.

❖ ما أجمل استسلامك لله سبحانه وتعالى، تخلق وتقصر امتثالا لأمر الله سبحانه، { ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ }، فواصل امتثالك وطاعتك يربعاك الله حتى تلقى ربك.

❖ الحلق والتقشير إعلان لبدء حياة جديدة، وفتح صفحة بيضاء تسير عليها، فلا تدنس - يربعاك الله - هذه الصفحة، وحافظ على نظافتها بالطاعة والاستقامة.

معاني ومقاصد طواف الإفاضة

سبق - عزيزي الحاج - أن تأملنا سويا في مقاصد الطواف، فارجع إليه يربحك الله،
وهنا بعض المقاصد من طواف الإفاضة خصوصا:

❖ طواف الإفاضة طريق شكر الله سبحانه وتعالى، فالفرحة وإتمام النعمة إنما ذلك بفضل
الله وحده، وأعظم الشكر أن تعلن ذلك بالذكر أو الصدقات أو العمل الصالح، وناسب
هنا الطواف، لأنه أعظم نسك في الحج، قال تعالى: {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا
نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}.

❖ الرجوع مرة أخرى إلى الطواف إشعار بتلك الأدبيات العظيمة، والمقاصد الرفيعة، والتي
تعلمتها في دورة الطواف والسعي السابقة، فالله تعالى يذكرك بها مرة أخرى، لتسير
عليها في حياتك كلها، قال تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ⁶.

والآن نطلق عزيزي الحاج لتأمل في مقاصد أيام التشريق.

⁶ عزيزي الحاج: حاول أن تتأمل اليوم مع إخوانك الآيات التالية:

◆ إبراهيم، الآيات 32 - 34.

◆ إبراهيم، آية 7.

◆ النحل، آية 80.

◆ الحج، آية 30.

◆ الحج، الآيات 34 - 35.

◆ غافر، الآيات 79 - 81.

◆ النمل، آية 40.

معاني ومقاصد أيام التشريق

أيام التشريق أيام مباركة، أيام ذكر وشكر لله عزوجل، يمكث الحاج في منى متأملاً متفكراً، ذاكراً شاكراً، متمتعاً بطيبات ما خلق الله تعالى، ومن مقاصد هذه الأيام المباركة:

❖ هذه الأيام دورة تدريبية مصغرة لرجوعك إلى وطنك، فبعد ما قضيت الدورة التعليمية من طواف وسعي ووقوف وغيرها، يعطيك الله تعالى دورة تطبيقية لتختبر نفسك في آثار الحج، فتجمع بين الطيبات من أكل وشرب وبين الذكر المحض، فتطبق هذا جميعاً عند عودتك إلى بلدك العزيز.

❖ لا شك أنك في هذا اليوم المبارك ترمي الجمرات الثلاث، وقد لا تعي حكمتها، كما أنك تصلي في اليوم خمس مرات وقد لا تعي حكمة ذلك، فهذا أمر الله، فعليك أن تمتثل، ولا يمنع ذلك من البحث عن الحكم النبيلة، فالله تعالى لم يشرع لنا شيئاً إلا لحكمة أرادها سبحانه.

❖ تجمع أخي الحاج في هذه الأيام بين غذاء الروح وغذاء البدن، وهكذا شريعة الله شاملة متكاملة، لا رهبانية فيها، ولا تفريط في حدود الله تعالى.

❖ ما تفعله عزيزي الحاج في هذه الأيام لا يصل إلى الله تعالى، وإنما يصل تقواك وإخلاصك له، ومراقبتك إياه، تأمل معي قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.

❖ لا تنس أخي الحبيب ما تعلمته من نظام ونظافة واحترام للآخرين أن تطبقه في هذه الأيام المباركة، واحذر أن تفتح لسانك وبصرك العنان، فتعصي الله تعالى بهذه النعم، ولا تغتر بحجك ووقوفك، وارجو رحمت ربك.⁷

⁷ في هذه الأيام المباركة حاول أن تتأمل أخي الحاج في هذه الآيات المباركة:

❖ القصص، آية 77.

والآن تأمل معي - عزيزي الحاج - مع معاني ومقاصد طواف الوداع.

-
- ◆ البقرة، الآيات 203 - 207.
 - ◆ البقرة، الآيات 200 - 202.
 - ◆ آل عمران، الآيات 14 - 15.
 - ◆ الأنعام، آية 32.
 - ◆ الأعراف، آية 32.

معاني ومقاصد طواف الوداع

أخي الحاج أراك حزمت حقيبتك للعودة إلى أرض الوطن، فقلبك تجلو في خاطرتان، خاطرة البقاء وخاطرة الرجوع إلى الأهل والأولاد، وما هو طواف الوداع، آخر أعمال الحج المبارك، فلنتأمل مع بعض المقاصد الرفيعة منه:

❖ من أعظم النعم – عزيزي الحاج – أن توفق لحج بيت الله الحرام، من هنا كان طواف الوداع خير ما يُودع به البيت الحرام، ويختتم به هذا النسك المبارك.

❖ وأنت تطوف بالبيت أخي الكريم اجعل لفكرك حيزاً من الأشواط، وأجب عن هذه الأسئلة:

- من أنت؟ وما مكانتك عند الله تعالى؟
- بماذا استفدت من هذه الدورة؟ وهل تغير شيء من واقعك وسلوكك؟
- ما الخطوات التي أعددتها لتغيير سلوكك؟ وتقوية علاقتك مع خالقك والعباد؟
- ما الخطوات التي هيأتها لدعوة الأهل والمجتمع والأمة والناس إلى التوحيد والاستقامة له سبحانه؟
- ما موقعك في بلدك عندما ترجع إليه؟ فهل ستكون قدوة صالحة لهم إلى الخير والإيمان والفضيلة والنظام والنظافة والعلم وغيرها؟
- ما علاقتك بالقرآن الكريم في الحج، وما الخطوات للتعامل معه بعد الرجوع؟

❖ لا يستحب لك عزيزي الحاج الشراء أو البيع بعد طواف الوداع تناسبا مع هيبة الوداع، ليكون مرتبطا بالذكر الخالص، توديعا وفراقا لأعظم بقعة طهرها الله تعالى.

العودة إلى أرض الوطن

هنيئاً لك - أخي الحاج - تأدية النسك، وتقبل الله منك سعيك، وعند الرجوع تذكر خطاب الله في آيات الحج:

❖ تذكر قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}، فكما تذكر أولادك الآن وقلبك معلق بهم، لا تنس الله تعالى، فهو أعظم شيء يذكر سبحانه.

❖ تذكر قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}، فبعد هذه الدورة العملية الجامعة بين الحسينيين الدنيوي والأخروي، فاجعل حياتك كلها مزرعة للدار الآخرة، فتقدم إلى الله بأي حسنة دنيوية كانت من نظام ونظافة وعلم وإحسان ومعروف وأمانة وغيرها، وبأي حسنة أخروية من ذكر ودعاء وتبتل وقراءة قرآن وغيرها⁸.

جعل الله حجك مبروراً، وسعياً مشكوراً.

كتبه بدر بن سالم بن حمدان العبري

باحث بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية

27 شوال / 1433 هـ / 26 / 9 / 2011 م

⁸ في طريق العودة تأمل أخي الحاج الآيات التالية:

- ◆ المعارج، آيات 19 - 35.
- ◆ المؤمنون، آيات 1 - 11.
- ◆ الأنفال، آيات 2 - 4.
- ◆ النحل، آيات 125 - 128.

